

التأهيل النفسي للمقبلين على الزواج

يتعين على طالب الزواج -رجلاً كان أو امرأة- أن يتهيأ نفسياً لما سيذهب إليه، فضلاً عن تأهيله المادّي والتربوي والمعرفي؛ لأن من مضى لأمرٍ أعدَّ عدته وأخذ أهبته يحقق نجاحاً خلافاً لمن مضى إليه من دون إعداد أو استعداد.

وإني رأيت التأهيل النفسي للزواج من خلال أربع نقاط، هي: (الزواج مسؤولية، وتضحية، وقبولٌ للاختلاف، وسكينة).

(١) الزواج مسؤلية:

لو أردنا اختصار الزواج بكلمة لكانت (المسؤولية)؛ لأن أعباءً جديدةً ستُلقى على عاتق كلا الزوجين، فبناء بيت جديد وأسرة جديدة يقتضيان جهوداً تأسيسية كبيرة، ولا ريب أن الجهود التأسيسية للمشاريع تفوق الجهود التشغيلية.

وتحدّد مسؤلية الرجل والمرأة بأمرين اثنين لكل منهما، حدّدهما قول الله تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَاتِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ . . .﴾ [النساء: ٣٤].

فمسؤلية الرجل تكمن في: القوامة: (الإدارة والرعاية)، وبالنفقة.

ومسؤولية المرأة تكمن في: طاعة الزوج، وحفظ البيت في حضور الزوج وغيبته.

والمسؤوليات المشتركة بينهما: رعاية الأولاد وتربيتهم التربية الصحيحة، ورعاية كلٍّ منهما صاحبه والعمل على إرضائه وإسعاده.

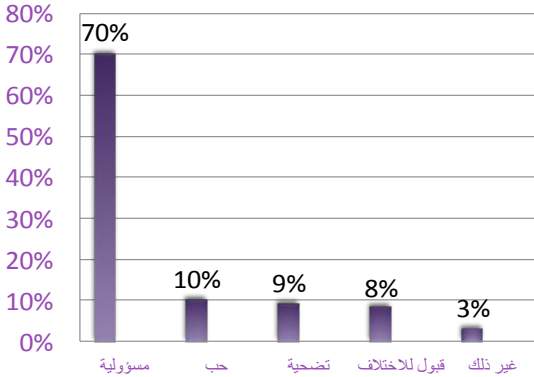
قال رسول الله ﷺ: «كلُّكم راعٍ، وكلُّكم مسؤولٌ عن رعيته...» [متفق عليه]

نلاحظ تكامل مسؤوليات الزوجين في الأسرة، فمسؤولياتهما متكاملة وليست متساوية؛ ذلك لأنهما مختلفان، وإنه من الظلم المساواة بين المختلفين، والتفريق بين المتماثلين.

ومن هنا تخطئ أصوات بعض الاتفاقيات الدولية عندما تريد أن تؤسس لمساواة كاملة بين الرجل والمرأة؛ سواء داخل الأسرة أو خارجها في الحقوق والواجبات والمسؤوليات والامتيازات.

نشرت استبانة على موقع Dr-shaal.com، كان مضمونها: (إذا أردنا اختصار الزواج في كلمة واحدة فماذا تكون؟)، واقترح للإجابة عليها الخيارات الآتية:
(الزواج مسئولية - الزواج تضحية - الزواج قبول للاختلاف - الزواج حب - غير ذلك)

فكانت النتيجة:



وليس يخفى أنّ تحمّل المسؤولية يحتاج إلى تدريب؛ لأنّ تحمّل المسؤولية من الأمور المكتسبة من سنوات الحياة الأولى، ويزيد وينقص وينمو ويتعدّل، وقد يتلاشى مع الأيام.

ومن هنا يبرز دور الأبوين في تأهيل أبنائهم للزواج.

كيف ندرّب أبناءنا على تحمّل المسؤولية؟

أ. إفاضة الحبّ عليهم ليحبُّوا أنفسهم ويحبوا الآخرين،
فإنَّ من يأخذ الحب يعطيه، ومن أحبَّ الآخرين بذلَّ لهم
وتحمَّل مسؤولياته نحوهم.

ب. الثقة بهم، وتعزيز ثقتهم بأنفسهم، ليستطيعوا تقديم
الأعمال وحمل مسؤوليتها.

يقول الدكتور عدنان السبيعي في كتابه "الصحة
النفسية": (من العبث أو إضاعة الوقت أن نرجو أو نتوقع
تكوين المسؤولية الناجحة أو التي تهدف إلى خدمة
الآخرين عند أناس لم يُبدل لهم الحب، ولم يُمنحوا الاعتبار
والتقدير الضروريين لبناء شخصيتهم الناجحة).

ج. تكليفهم الأعمال التي تتناسب مع أعمارهم، ومراقبتهم ومتابعتهم في أثناء أدائها؛ لتشجيعهم عند النجاح وتقويمهم عند الحاجة.

فيحمل الطفل مسؤولية ترتيب حقيبته المدرسية، والمحافظة على مقتنياته الخاصة، ثم يحمل مسؤولية تنظيف بعض أطباق الطعام، ثم مسؤولية رمي قمامة المنزل في مكبّ النفايات خارج المنزل، ثم مسؤولية جلب بعض الأغراض المنزلية، ثم مسؤولية تدريس أخيه الأصغر...

وهكذا يتدرج الفتى بالتدرب على تحمل المسؤوليات، ومثله الفتاة، حتى يصل الوالدان بالفتاة إلى تدريبها على رعاية البيت كاملاً في حال سفر الوالدة مثلاً، وبالشباب إلى بذل

ماله أو بعضه للمشاركة في النفقة المنزلية؛ فيصيران مؤهلين نفسياً وعملياً لتحمل المسؤولية.

٢) الزواج تضحية:

لا يستمر زواج من غير تضحية؛ يقدمها حيناً الزوج، وتقدمها حيناً الزوجة، ويقدمها حيناً ثالثاً كلاهما.

فكم من متخرجة في كليات علمية أونظرية ضحّت برتبها الوظيفية لتحمي بيتها وأولادها، ففرغت نفسها لهم وصنعت منهم الكبار المشهورين!..

وكم من أبٍ قليل ذات اليد آثر زوجه وأولاده بالمال الذي يجنيه من عمله ليرتاحوا ولو تعب هو، وليرتقوا ولو كان الارتقاء بارتفاعهم على كتفيه!..

فها هي أمُّ هانئٍ أخت سيدنا علي عليه السلام يموت زوجها، تاركاً لها أيتاماً، فيخطبها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لنفسه، ثم تعتذر إليه؛ خشية منها إن تزوّجت وأدّت حقَّ زوجها أن تنقص حقَّ أولادها، وإن أدّت حقَّ أولادها أن تنقص حقَّ زوجها فتضحى بأشرف رتبةٍ ولقبٍ تناله امرأة في العالم.

وذاك سيدنا جابر بن عبد الله رضي الله عنه يضحى بلدّةٍ يبحث عنها كلُّ شابٍّ في زواجه، وهي أن تكون زوجته صغيرة بكرةً؛ مقابل أن تسلم أسرة أبيه وأمّه، فترعى له إخوته الصغار.

عن عوف بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلوات الله عليه قال: «أنا
وامرأة سَفَعَاءِ الخدين^(١) كهاتين يوم القيامة - وأوماً
بالوسطى والسبابة-: امرأة آمت من زوجها، ذاتُ
منصبٍ وجمال، وحبست نفسها على يتاماها حتى
بانوا أو ماتوا» [أبو داود والطبراني].

٣) الزواج قبولاً للاختلاف:

الاختلاف سُنَّةٌ من سنن الله تعالى في الأرض، ولا تقوم
الحياة من دونه، يقول الله تعالى: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ رُبُّكَ لَجَعَلَ

(١) السَفَعَاءُ: هي السوداء.

النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ
خَلَقَهُمْ... ﴿ هود: ١١٨ ﴾ .

ومن الطبيعي أن يختلف الزوجان في كثير وعلى كثير من
الأمور، كيف لا؛ والزوجة أنثى والزوج ذكر، وليس الذكر
كالأنثى؟!

كيف لا؛ وقد نشأ الزوج في بيتٍ ونشأت الفتاة في بيتٍ
آخر؛ أعرافه مختلفة، ومواعيده مختلفة، وآراؤه مختلفة،
وعلاقاته الاجتماعية مختلفة، وأفراحه وأحزانه مختلفة؟!
أقول: من رضي بأن يتخذ لنفسه زوجاً فقد رضي أن يقبل
معه من يخالفه.

فمطلوب من الزوجين أن يستعدا لقبول الاختلاف،
ويعلموا أن الاختلاف في أكثره اختلاف تنوع لا اختلاف

تضاد، وإن كثرة الأنواع تثري وتعني وتلوّن الحياة بألوان الطيف لتكون أجمل.

وليتذكر الزوجان أن مرور الأيام على عيشهما المشترك يقارب بينهما ويوفق بين كثير مما اختلفا عليه، فيزداد التفاهم مع ازدياد سنيّ زواجهما، وتقلُّ نقاط الاختلاف، أقول: تقلُّ ولا تنتهي؛ لأنه إذا انتفى كلُّ فارقٍ انتفت الاثنيّية.

(٤) الزواج سَكِينَة:

لئن كان طالب الزواج سيتأهل نفسياً لحمل أثقال المسؤولية والتضحية وقبول الاختلاف فإن له أيضاً أن

يهيء نفسه للسكن بعد الاضطراب وللري بعد الظمأ.
فإن الغنم بالغرم.

قال الله تعالى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الروم: ٢١]

﴿ خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ﴾
[الأعراف: ١٨٩]

والسكن لا يكون إلا بعد حركة واضطراب.

قال السمرقندي في تفسيره: ﴿ لَتَسْكُنُوا إِلَيْهَا ﴾ يعني:
لتستقر قلوبكم عندها، وقال البيضاوي: أي لتألفوها
وتميلوا إليها وتطمئنوا بها.

ولما كان الزواج طاعة لله فإن أول أجوره السكّن النفسي، ذلك لأنّ للطاعة نوراً في الوجه وراحة في القلب ونشاطاً في البدن ومحبةً في قلوب العباد، كما أن للمعصية أضرارها.

هذه الأربعة هي مادة التأهيل النفسي للمقبلين على الزواج: (تحمل المسؤولية، والتضحية، وقبول الاختلاف، والسكينة).

وإنه من الظلم الاجتماعي أن لا يتأهّل الشباب والفتيات للزواج تأهيلاً نفسياً صحيحاً، وأشدّ منه أن يتأهّلوا تأهيلاً سلبياً، فيتحوّل الزواج في نفوسهم وأذهانهم إلى حفلات عرس فاخرة وحسب، وعلاقات حبّ وعشق فقط، وتخيّل الفتاة الزوج فارس الأحلام القادم من عالم الغيب

حاملاً لعروسه آمنيات حياتها! ويتصور الشاب الزوجة هي
 الأميرة النائمة التي تنتظر قبلة الحياة لتصحو بعدها وتبوع
 زوجها في خطواته كلها وتوافقه في مراداته كلها!
 ويغيب تحمُّل المسؤولية والاستعداد للتضحية وقبول
 الاختلاف.

وحين تمتلئ أذهان الشباب والفتيات وتُشحن عواطفهم
 ومشاعرهم بقصص الحب والعشق والغرام يتلقونها من
 شاشات الفضاء وروايات الماجنين وأشعار الفجار ؛
 يذهبون نحو الزواج دون استعدادٍ للتضحية أو قبولٍ
 للاختلاف، أو تحمُّلٍ للمسؤولية، بل بحثاً عن هذا الذي
 مُلِّت به عقولهم وقلوبهم، مما قد يجذوه أو لا؛ الأمر الذي
 يصيب حياتهم الزوجية بمقتل.

والحمد لله رب العالمين